Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

«الكتابات الشّعرية الشّعبية التلمسانية مصدر من مصادر التأريخ للوضع الثّقافي بتلمسان ما بين 1008هـ/ 1600م. 1207هـ/ 1799م»

The Tlemcenian Popularity poetic writings are a source of history for » . the cultural situation in Tlemcen between 1008H/1600G «H/1799G1207

محمد بومدين. Boumedine Mohammed.
جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان، الجزائر.
Université Abou Bekr Belkaid - Tlemcen - L'Algérie.
مخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي الجزائري من العهد العثماني حتى القرن العشرين
Laboratory of collecting and documenting Algerian poetry from the Ottoman period until the twentieth century
الإيميل: Email :univ-Tlemcen.dz@mohammed.boumedine

تاريخ الاستلام : 2020-07-15 تاريخ القبول : 2020-12-11

ملخص:

يبحث هذا المقال بالدّراسة والتّحليل في طابع الثّقافة ومستجدات أوضاعها في تلمسان خلال القرنين 11هـ/17م و12هـ/18م، من خلال استعراض ما خلفه شعراء المدينة في مختلف قصائدهم الّتي عدّت مصدرًا من مصادر كتابة تاريخها العثماني، في تلك الحقبة الّتي توصف على العادة بالرّكود في الميادين العلمية والأدبية، بسبب انتشار الملحون ذي اللّهجة العاميّة نتيجة عوامل كثيرة من بينها طبيعة العصر في ميله لانحطاط الأذواق الأدبية وإبتذالها، والتّشجيع عليها من قبل الحاكم والمحكوم.

ما دفع الكثير من علماء تلمسان المثقّفين على غرار المنداسي، وابن مسايب...، وغيرهما، إلى الانسياق بدورهم لنظم قصائد الملحون الشعبي تلك، ليَعُدَّ كلامهم بعد ذلك أحسن تصوير مباشر للواقع التلمساني المَعِيش، حينما استمدَّ موضوعاته من القاعدة الشّعبية وطبيعة علاقتها مع السّلطة الحاكمة، واستلهم نظراته وعواطفه من مشاهد حيّة أمسى على اثرها أحد أهم وسائل التعبير التّلقائي بتلمسان في الفترة العثمانية.

كلمات مفتاحية: حاضرة تلمسان، الثّقافة، شعر الملحون، سنوات 1008هـ/ 1600م ـ 1207هـ/ 1799م، الفترة العثمانية.

Abstract:

This article study and analyses the characteristics of culture and its situation in tlemcen during the 17th and 18th centuries relying on what was comported by the poets of the big city their poème were a great historical reference during the Othomane era there existed the speared of a dialectal poetry which was paved by:

.1 The collapse of the literary tendencies.

.2 The rulers had encouraged this poetry popular.

.3 The population had done the same task.

The poets of this historical era had succeeded in describing the Tlemcenian reality in an exact way during this new state which is called the tlemcen between 1008H/1600G1207 – H/ 1799G.

Keywords: Tlemcen capital; the cultural; the melhoune poet’s; the 1008H/1600G 1799/1207 – G; Othomane era.

1. مقدمة:

لا ريب أنّ الوثائق الشعرية أصبحت من بين الأصول المصدرية الهامة، كونها تحتوي على قصائد شعرية أرّخت بالتجربة والمعاينة لظواهر ثقافية تفيد الباحث اليوم إفادة متميزة في بناء وتركيب مختلف الحوادث التاريخية في تلمسان خلال العهد العثماني؛ عندما أضحت أحد ركائز الذاكرة في تاريخ تلمسان ومحطاته الطويلة، وشكلت مظهر من مظاهر البوح والإنفعال، وموقف من المواقف الجريئة باعتبارها تحيل بجرأة لمجريات المجتمع التلمساني ومستجداته، لأنّ هذا الفرع من النصوص، يتجاوز الرؤية الضيقة للموضوعات، ويصورها بتمعّن وتفاعل، أغلبه نابع من القلب والروح، وينظر إليها على أنها تجسيدات لهيكلة المجتمع، وتناقضاته أو تناسقاته.

كما تظهر أكثر متانة هذه الروابط بين الشّعر الشّعبي كمادة أدبية، لما تتجلى في الوقت نفسه مقارباته التاريخية الّتي من شأنها أن تكشف لنا أهم السياقات الاجتماعية والسياسية، ومختلف الأحوال الثقافية، إلى جانب تفسير الأسس المنطقية الدّالة على العوامل الّتي رسمت عمليتا التّأثير والتأثّر في الخلجات الروحية والنفسية الّتي خامرت الشّاعر التلمساني في بيئته، والّتي لا شكَّ أنها قد تطوّرت لمرتبة ضرب من ضروب الوُصلَة التّاريخية المعبرة والنّابعة من عمق الصورة الثقافية كما وقعت في مكانها وزمانها، وقفزت كذلك إلى صنف الشهادات الحيّة المعبرة عن طبيعة العلاقة القائمة بين رجال الفكر التلمسانيين والسّلطة السياسية الحاكمة إذ ذاك.

وبناءًا على هذه الاشكالات المتتالية، والمتمحورة أساسا حول دور الكتابات الشّعرية الشعبية التلمسانية وأهميتها في الحفاظ على التّوثيق الأصيل لمجريات الوقائع التاريخية في نوعها الثقافي والسياسي، سنحاول إماطة اللثام عن مآل الوضع الفكري والعلمي بتلمسان خلال الفترة الحديثة، انطلاقا ممَّا رصدته بالمشاركة والمعاينة المباشرة نماذج من أعلام الشعر الشعبي الملحون بالمدينة المذكورة ما بين القرنين **11هـ/17م** و**12هـ/18م**.

2. مفهوم الشّعر الشّعبي:

إن مصطلح الشعر الشعبي غربي الأصل، عربي النشأة، مركب من كلمتين – **شعر أو أدب**- و- **شعب**-، أما **الشعر**: فهو مفهوم عام ذو معاني عديدة، من ضمنها أنه ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى الصادر عن أديب أو كاتب أو شاعر، وخاضع لمنطق لغوي فني معين[1].

بينما تحيلنا كلمة الشعبي والمشتقة من "**الشعب**" الذي يعيش في إقليم متعدد ومنفرد، تجمعه خصائص مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد.

وبين هذا وذاك، يُعتبر الشعر الشعبي جملة وتفصيلا، شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، فهو إبداع شعبي شفوي، ونمط من الأنماط الثقافية الشعبية الذي يتمسّك فيه الشّاعر بالرّوح الشّعبية، والأكثر من ذلك شعوره بالإنتماء إلى الطبقة العامة أكثر من غيرها، على الرّغم ممّا يمتاز به الشّاعر من مؤهّلات المثقّف الّتي تؤهلّه لأعلى درجات المجتمع، فنجده يركن إلى سواد الناس الّذين سمّوا الشاعر بـ "**القُوَال**"[2]، وأطلقوا على شعره كلمة "**الميزان**"، فرسخت هذه الظّاهرة أكثر عند أغلب الجمهور المهتم بهذا اللون الشعري، حتَّى اعتاد الشّاعر الشّعبي إلى أن لا يقول شِعرًا إلاَّ بلحن مبتكر أو مجلوب من مقامات الموسيقى، اشتهِرَ وقتذاك "**بالملحون**"[3].

3. منطلقات الشّعر الشّعبي في الجزائر قبيل الحاقها بالدولة العثمانية:

إنَّ ما أصاب الحالة الثّقافية والأدبية من نفوق وتدهور بإيالة الجزائر عامة، بداياته تعود إلى نهايات الفترة الوسيطيّة، عندما شهدت هذه الفترة ظاهرة العزوف عن الشعر الفصيح، والإهتمام أكثر بالشعر الشّعبي المُنتشر في كامل عُدوة المغرب، لما اتخذه سكان المنطقة وشعرائهم كلغة تعبئة، ووسيلة روحية تنادي بالجهاد ضدّ الحملات الإسبانية والبرتغالية العسكرية منذ النصف الثاني من القرن **9هـ/15م**[4].

ليجد طريقه منذ القرن **10هـ/16م**، إلى مواضيع الحب والشّوق والحنين، مع الكثير من الأدباء والشّعراء، خاصة التلمسانيين منهم الّذين نظموا العديد من قصائد الملحون في الغزل وغيره بعد ذلك.

4. ملامح الشعر الشعبي التلمساني ونماذج من أعلامه خلال الفترة الحديثة:

لقد عرف الشعر الشعبي في تلمسان إبان القرنين **11هـ/17م**، و**12هـ/18م**، ازدهارًا قويًّا، وأسس ومناهج متعددة، ومدارس تلمسانية أصيلة أقبل عليها العام والخاص من المشرق والمغرب، بفضل رواده من أبناء المدينة الّذين كان في مقدمتهم ثلة من العلماء أمثال: المنداسي، وابن التّريكي، وابن مسايب...، بالرغم من أنه كلام أساسه الدارجة لا اللغة العربية.

2.4. شهادة المنداسي (ت 1088هـ/1680م)، حول واقع الأوضاع العلمية بتلمسان القرن 11هـ/17م:

2.4. 1. ترجمة:

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله التّلمساني، موطنًا ونشأةً[5]، المنداسي أصلاً ونسبًا، عاش بتلمسان في النصف الثاني من القرن **11هـ/17م**[6]، نظم الفصيح والعاميّ، وله مؤلفات كثيرة في شكل أبيات شعريّة منها: "**ديوان شعر**"[7]، وقصيدة "**النفحات الأنسية على النفحات القدسية**"[8].

وفي أعقاب تعرض تلمسان للقمع من قبل القائد "**حسن**" حوالي سنة **1060هـ/ 1650م**، ترك المنداسي مدينته وهاجر إلى المغرب الأقصى، واستقر في سجلماسة[9]، حيث عاش هناك في كنف العلويّين.

2.4. 2. معارضة المنداسي لتجاوزات العثمانيّين اتجاه المنشآت العلمية بتلمسان من منفاه:

على إثر تولى السّلطان إسماعيل **(ت1139هـ/ 1727م)**، الحكم بالمغرب العلوي، أصبح للمنداسي شاعر تلمسان مكانة مُميّزة بحواضر المغرب الأقصى، مكّنه بها السّلطان المذكور، ليكون دافعًا علميا استثمره المنداسي خير إستثمار في التأليف، والتّغني بالقصائد الّتي كان منها: "**الأزهار المتضرعة بعرف العقيقة**"[10] على شكل قصيدة لاميّة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[11]، قام بتخريجها في بلاط السّلطان إسماعيل عام **1088هـ/1680م**، و"**الغوثية**" في وليّ تلمسان أبا مدين شعيب الغوث بن حسين الأنصاري **(ت 594هـ/1193م)**، وإن كانت باللّغة العاميّة إلاّ أنّها عرفت شهرة طائرة الآفاق، وهي تنشد حتّى اليوم بين النّاس في المواسم والحفلات الدّينيّة، اقتضبنا منها البيت الموالي:

"**يا بومدين جيت في المقام نشوفك باعياني**"[12].

هذا، ولمّا أمست تلمسان تعيش ركودا ثقافيًا نسبيا زمن العثمانيين[13]، بشهادة أبنائها العلماء الّذين كان على رأسهم شاعرها المنداسي وقصائده العاكسة لحوادث عصره بالمدينة، والمعبر عنها بوضوح في قصيدته "**النونية**" الموسومة بـ: "**الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان**"، والّتي قال فيها الإمام أبي العباس أحمد بن مصطفى برناز التونسي **(ت1084هـ/ 1676م)**[14]، أحد تلامذة المنداسي من العلماء التونسيين، ما نصّه: "**أفتى ابن زاغو**[15] **الفقيه لأمير تلمسان حسن في الشدة على أهلها، فقتل كثيرا منهم، (...)، وتأثر للواقعة، شيخ مشايخنا المنداسي، وأنشأ قصيدة طويلة في الموضوع سماها: الاعلام فيما وقع للإسلام، (...) وهجا الترك، (...). ومن ذلك قوله في مطلع قصيدته:**

أمن قادر بالله يحيي تلمسانا فإن بها من رهط ياجوج عدوانا"[16].

وجاء في القصيدة أيضا:

فقل لابن زاغو للضلال أيمة تدبر لحاك الله ما قال مولان

أتهدم دار العلم في حانك الذي تبيت وتضحي فيه ويحك سكرانا"[17].

إلى أن يقول:

"**فقل لابن زاغو رأس كل خطيئة فلا تحسب الفتك بالأهل سلوانا**"[18].

3.4. الوضع الثقافي بتلمسان في القرن 12هـ/18م، من خلال ديوان ابن التّريكي (كان حيًا سنة 1190هـ/1768م):

1.3.4. ترجمته:

لم تنقطع رياح الشّعر الشّعبي في تلمسان مع المنداسي، فقد تواصلت مع أحد تلامذته في الأدب والشّعر، أبو العباس أحمد بن التّريكي الأصل، التّلمساني الدّار والمنشأة، الساكن بدرب الملياني بحارة باب الجياد[19]، كما صرّح عن ذلك في قصيدته: "**طال عذابي وطال نكدي**"، وهو يقول:

"**ساكن باب الجياد حومة درب الملياني**"[20].

وفي زاوية أخرى من "**ديوانه**"، يخبرنا عن انتمائه للمدينة المذكورة في القصيدة نفسها، فيقول:

"**أنا با من اتسال فالأصل اتلمساني**"[21].

أمّا لقب "**ابن زنقلي**" فإنه حسب بعض المؤرخين والأدباء، يعني الخشونة المقترنة بوالده الّذي كان موصوفًا بالشّدة والعّنف، بيد تمّة تخريج آخر لهذا اللّقب من قبل بعض المتخصصين، مفاده أن كلمة "**زنقيل**" معناها "**غني**"، ولهذا يكون ابن زنقلي هو "**ابن غني**"[22].

ولد ابن زنقلي في أواسط القرن **11هـ/17م**، ووفاته كانت في أوائل القرن **12هـ/18م**، على أنّه لا يُرجّح الأستاذ "**عبد الحقّ زريوح**" تاريخ الوفاة هذا بالصّواب، حيث أن آخِر قصيدة نظمها الشّاعر ممّا توافر من شعره في قصيدة "**قلبي بالحب**"، كانت عام **1168هـ/1760م**[23]، حسب رأي الباحث السالف الذكر، وفي الآتي مقتطف من الّذي يهمّنا منها:

"**في عام الثمانية رسمي بعد الستين والميا بعد ألف عام**"[24].

وكان التّريكي من حملة القرآن العظيم وحفظته، وقصائده مروية بالقطر الجزائري كلّه[25] وبفاس، طارقا بواسطتها موضوعات الشّعر المختلفة كالغزل والمديح والوصف، وغيرها.

2.3.4. موضوعات الهجرة العلمية القسرية عند ابن التريكي:

وكما جرى للبقية الباقية من صفوة النّخبة بتلمسان في غضون تلك الفترة العصيبة من تهجير ونفي، قامت الإدارة العثمانية بالشيء نفسه مع ابن التريكي سنة **1083هـ/1675م**[26]، صوب المغرب الأقصى، أين آوى في جبل "**بني**

يزناسن" بالقرب من وجدة أيّاما، كتب فيها من التّآليف عدد ليس بالقليل[27]، وأنشأ أثناء ذلك قصائد عديدة، جاء في بعضها:

"**طال نحبي ودموعي كل يوم زراب والفراق كواني كيه بلا سبب**"[28].

ويُبلِغنا في قصيدة: "**شعلت نيران اكبادي**"، على أنه ليس بالوحيد من الأدباء والعلماء التلمسانيين الذين تم ابعادهم من مدينتهم، أو الذين اختاروا لأنفسهم ترك موطنهم:

"**هذي سيرة فعلي غييت وافنى الدليل**

كم من واحد قبلي اعزم اعليه الرحيل"[29].

كما يؤكد في مواضيع كثيرة عن معاناته الّتي أشاطته واكتوى بها سُنِين طويلة، حتّى بلغ به الحال أن خصَّص لها قصيدة كاملة، سمّاها "**طال نحبي**" مؤرّخة عام **1063هـ/1655م**، نعرض منها ما يلي:

"**والوحش كل يوم بقوي نيراني ابهيج البكا وايجدد لحزان**"[30].

ويشير لأماكن النّفي بالمغرب الأقصى وإفريقيا جنوب الصّحراء في القصيدة نفسها، فيقول:

"**والأنصير قاهر افيد نصراني بسلاسلو مغلغل افيد الخزيان**

هم الجفار يتوعن كل امعاني ينفي لمالطه وجبال السودان"[31].

3.3.4. الآثار الأدبية لابن التريكي ومواقف علماء عصره من شخصيته الفكرية:

إلى جانب "**ديوان ابن التريكي**"، كان لهذا الأخير مؤلف في "**الرّبيعيات**"[32] الّذي لا يُلحن كتابة إلاّ في فصل الرّبيع، وصلنا منها ستّ صفحات مخطوطة بخط مغربي، بآخرها ترجمة للنّظم بالفرنسية[33]، نشرها صاحب كتاب "**نفح الأزهار**" في مخطوطته: "**مشرقي بالعروبيّات والنّواعير**"[34].

على العموم، فإن شعر ابن زنقلي في جلّ خصائصه الفنيّة كانت أم الموضوعاتيّة، يقترب من شعر شيخه المنداسي الّذي يعترف له بالفضل، في حدّ قوله:

"**أنا وجميع الشيوخ طائعين للمنداسي كيفاش نواسي**"[35].

ومن ضمن ما قيل عنه كشهادات حيّة في سيرته ومسيرته الشّعرية من قبل معاصرين من الشّعراء التلمسانيين، ما حلاّه به ابن مسايب فيما قاله عنه أنّه كان "**يملكه جن عظيم، ولكن ذلك الجن أساء اختيار محل سكناه**". وعن شعره، يقول: "**عسل ابن التريكي في غاية الحلاوة ومن سوء الحظ أنه موجود في قرية مطلية بالقطران**"[36].

4.4. تمظهرات البيئة العلميّة بتلمسان القرن 12هـ/18م، في ديوان ابن مسايب (ت 1190هـ/ 1768م):

4. 4. 1. التعريف بالشّاعر:

هو العالم الرّحالة أبا عبد الله الحاج محمد ابن أحمد ابن مسايب التلمساني[37]، المولود في الرّبع الأول من القرن **12هـ/18م**، من أسرة أندلسية مورسكية استقرت في حي باب زير[38] في تلمسان.

لابن مسايب الكثير من المشادّات مع العثمانيّين بسبب الزّجر الّذي تعرّض له بالتّشبيب لكثير من نساء العّامة بتلمسان، لما وصل به الأمر إلى نساء وفتيات الطّبقة الحاكمة، لتكن بذلك الأسباب الّتي تَحكَّمت بها الإدارة العثمانية على الشّاعر ونفته خارج تلمسان[39].

4.4. 2. مآل الموروث العلميّ في تلمسان على ضوء أبيات من ديوان ابن مسايب:

إنّ تقهقر الأوضاع العلمية والفكرية بتلمسان في غضون القرن **12هـ/18م**، هو ما أشار له ابن مسايب بكثافة، موظّفا أسلوب التّلميح في صيغة تضمين يستظهر من خلاله سطوة العثمانيين على تلمسان، مشبّها إياهم بجيش الحّب الّذي غزا الأوطان والبلاد، فقال:

"سلطان الحب طغى وجار عني بجيش كثرت في الحب تشواشي"[40].

حقائق إذن، عايشها الشّاعر وعبر عنها بعدم رضاه عن الحالة المتدهورة الّتي وصلت إليها العاصمة الملكية لبني عبد الواد[41] فيما مضى، فلم يجد بدًا من أن يناهض ويهاجم بشعره حكومة وإدارة الدّايات، إلاّ بالعنف السّاخط على الواقع العلمي المزري الّذي حصّل بواسطته سياط الجلاّد العثماني، ما اضطره مباشرة بعد ذلك إلى الفرار من تلمسان بعيدًا عن الأوطان إلى المغرب الأقصى، حيث نال هناك حظوة وشأنا كبيرين لدى أحفاد وأولاد السلطان إسماعيل[42].

هذا ما أفرد له ابن مسايب سطورا معتبرة في قصيدته: "**أراد كيف فعل مالها اختار**"، فقال في أحد الأبيات:

"هكذا قدر ربنا الحكيم كيف أراد فعل باحكامه فعل وقدرته"[43].

ولم يفتئ ابن مسايب يعرض الحالة السابقة في أبيات أخرى من قصائد ديوانه، يصف عبرها تلمسان العروسة قبل دخول العثمانيين إليها، فيقول:

"كانت عروسة والتاج فوق راسها قاعدة في مجالس ماراها فساد"[44].

كما أعلمنا بالتداعيات السلبية للإدارة العثمانية على المدينة وعلى كل الأصعدة، فقال:

"خربوا البلاد والمخزن زاد اعماها"[45].

وفي موضع آخر من "**ديوانه**" يعرّفنا حتّى بمعاصريه من علماء أولاد الشّيخ اليبدري[46] التّلمساني، الّذين هاجروا من تلمسان في تلك الفترة، فقال:

"وين أهل وادي الشولي ناس يبدر ديني غزلي
عندهم نحو مائة والي شي خفى وشي عرفوه"[47].

ولما عاد الشّيخ ابن مسايب إلى تلمسان قادمًا إليها من مكناس بعد نفيه، وتصالح مع الحكام العثمانيين على يد عائلة ابن حاجي التّلمسانية، فرضت عليه بالمدينة حراسة شديدة، ومراقبة مستمرة، غدت نقطة حاسمة وانتقالية في حياة الرّجل، بين طيش الشّباب وتهوره إلى رزانة الكهولة وحِكمتها.

لذلك أقام العثمانيون للشيخ ابن مسايب بعد مماته ضريحًا يتبرك به العامة بتلمسان، سُمِّي بـ "**سيدي ابن مسايب حضر الغائب**"، لازال يتردّد عليه الناس إلى اليوم، وهي السّمة الّتي وسمته إلى التّقوى والورع، وإلى درجة بلوغ التّصوف حتَّى توفّاه الله سنة **1190هـ/ 1768م**[48].

4. 5. مشاهد من الأحوال العلمية بتلمسان في ديوان بومدين بن سهلة (عاش في 12هـ/18م):

1.5.4. ترجمته:

ولد بومدين بن محمد بن سهلة التّلمساني في حاضرة تلمسان الّتي راجت فيها أسماء بارزة في شعر الملحون[49]، والّذين حدى حذوهم ابن سهلة بأغانيه الّتي عدّت مقبرة لبعض من الحكّام العثمانيين، ليمسَّه منهم بسبب ذلك ما مسَّ كل شاعرٍ تلمساني من ملاحقات، ومضايقات، وتعقّبات، فتوجّس من سوء تربصهم به مبكّرًا، مبادر بالرّحيل إلى ديار بني عمومته بسهول "**أنكّاد**" بأقصى غرب الجزائر الشّمالي، فور مباشرةِ أبواق السّاسة العثمانيين وأذنابهم بترويج الإشاعات والدّعايات المغرضة حول الشّاعر، قصد التقليل من مفعول منظوماته، غير أنّ ابن سهلة استمّر في رجمهم بمنظوماته بمثل ما جاء في هذا الحوار:

"ما نرضى شي عمري نبوس الإيد وعلى وجهك جرعت كل أمحان"[50].

2.5.4. الخصائص الشّعرية في أبيات الشّاعر بومدين بن سهلة ومقارباتها التاريخية:

يعتمد بومدين بن سهلة في أشعاره على غرار شعراء الملحون الشّعبي، التّعبير الرمزي والتّشبيه والتّلميح، وهذا يعود بالدّرجة الأولى إلى طبيعة الحكم القائم في عهده[51]، حيث جسّد ذلك بقصص الحّب الّذي هو عنده عبارة عن أمير طاغية، حاكم جبّار، ظالم، فغالبًا ما يستهل المنظومة بذكر الهجمة الشّرسة الّتي يتصدّى لها الإنسان المغلوب على أمره عِشقًا، فيأتي بصور لهذه الحرب غير المتكافئة، فيقول:

"الغرام أتاني بعساكره قوية طالقين أساهمهم طالبين القتال"[52].

فتزدحم حوله الأشياء، ويرفض السّيطرة والهانة، فينادي بالفداء والتّضحية، وتحت الضغط المأساوي والشعور بالخيبة، يميل إلى التّفائل بعودة الأيّام السّعيدة، وبلوغ الأمل، ويقاوم اليأس ويأمل الإنتصار والتّخلص من القيود الكثيرة الّتي أحاطت به، فينسج حول قصّته العاطفيّة صورًا يعكس فيها أحوال أبناء الشّعب، فتبدو المأساة مأساة الجميع، والقصة الّتي يسردها قصّة كل النّاس[53]. وفي الآتي قطعة شعرية من "**ديوانه**" تُعرب عن محنته زمن العثمانيين في قصيدة: "**ندعيكم الله**":

"عذبتوني يا خواشم التركي ورميتوني في اللهيب ما أقواه"[54].

5. تقييم عام لمحتوى المادة التاريخية الثقافية الواردة في الدواوين المدروسة:

يمكن القول على أساس المقارنة المستندة على الملاحظة والقياس، ومن دون الوقوع في مغبة الخطأ، أن ما تمت الإشارة إليه في ثنايا الدواوين التي مرت معنا للتو، حول ما آلت إليه الأوضاع العلمية والفكرية بتلمسان في الفترة الزمنية المدروسة، قد تكرر تقريبا في الكثير من المخطوطات التي تعود إلى علماء تلمسانيين عاشوا في الفترة نفسها، وتأثروا جد التأثر بالدارجة وشعر الملحون، كالشيخ **موسى بن علي الآلتي التلمساني (ت 1045هـ/1635م)**، في مخطوطته "**حزب العارفين**"، وتلميذه **أبو عبد الله محمد ابن الصّايم التلمساني (ت 1066هـ/1656م)**، ومخطوطته "**كعبة الطائفين**" التي شرح فيها المخطوطة السابقة الذكر، وخصص فيها مثل شيخه جانبا معتبرا من أبيات شعر شعبية، ينتقد فيها السياسة العثمانية المطبقة بدرجة أكثر على العلماء وطلبة العلم، بتعابير تشبه كثيرا تعابير المنداسي والتريكي وابن مسايب، كالظلم والقسوة والجور والحيف، وغيرها ممَّا يُستدل منه على ما يظهر حقيقة تلك السياسة التي أجمعت عليها نخبة تلمسان في مختلف أنواع مؤلفاتها.

6. خاتمة:

وفي الأخير، ومن خلال ما تناولناه حول أهمية الكتابة الشّعرية في التّأريخ للأوضاع الثّقافية بتلمسان في الفترة العثمانية، تَوصّلنا إلى جملة من الاستنتاجات الّتي كانت محصّلة لما ورد في متن ما سبق عرضه وبسطه بالدراسة، نوجزها في الآتي:

أولا: شكّل موضوع الشّكوى، والهجران، والنّفي السياسي، حديث الساعة عند شعراء تلمسان القرنين **11هـ/17م** و**12هـ/18م**، والّتي كانت تحصيل حاصل لطبيعة العلاقة القائمة بين الشّاعر التلمساني المناضل، والسيطرة السلبية لبعض الحكام العثمانيين.

ثانيا: تعد الكتابات الشّعرية التلمسانية في القرنيين **11هـ/17م**، و**12هـ/18م**، بَلسَمًا، ومظهرا من مظاهر المعارضة الفكرية التّلمسانية للسياسة العثمانية وتجاوزاتها اليومية في حقّ العلماء. كما وكان لها الدور الهام في التّأريخ بالمقارنة المجسّدة لمأساة علمائها الشّعراء، ولماضيها الزاهر وانحطاطه إبان الفترة الحديثة.

ثالثا: لا جرم علينا القول هنا، أنّ ما نطقت به ألسنة هؤلاء الشّعراء كان بمثابة قوّة فكرية مناهضة للسّلطة الحاكمة، وتيّار مقاومة جارف، مثلته صفوة الصّفوة من شعراء الملحون بالمدينة، عندما وقفوا وقفة واحدة ضدّ الإدارة العثمانية بالمدينة الّتي لم تتوان عن إبعادهم إلى حواضر المغرب الأقصى.

رابعا: يتّضح من خلال ما استنبطناه من هذه الدراسة، أنّ طبقة العامة من سكان تلمسان كان مغلوبًا على أمرها، وطالها الفقر والتّهميش، مثلما كانت عليه أيضا نخبتها من العلماء والشّعراء، ما زاد الطينة بِلَّة في تفكك عرى الثّقافة ورجالها في الجزائر عامة، وتلمسان على وجه التّحديد، في وقت لم توقفهم معاناتهم المتواصلة في تلك الظروف من مواصلة حمل راية الرفض للوجود العثماني وتسلطه، ومساسه بالمقدسات الدينية بمنفاهم خارج تلمسان، جاعلين من القلم واللّسان العامي أسلوب تعبئة مؤثر في سكان المدينة الّذين اعتادوا على الدّارجة الّتي أضحت تشهد رواج كبير بين الناس، ولقيت التّشجيع خاصة من أصحاب القرار.

لذلك ستظلّ هذه المعطيات التّاريخية تمثل مادّة أصيلة في حقل التّاريخ الثّقافي لتلمسان العثمانية، لما انفردت بمواقف جريئة ونادرة التّداول بين المصادر الأخرى.

7. قائمة المصادر والمراجع:

7.1. العربية:

ـ أبو القاسم سعد الله، (1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500 ـ 1930**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ـ أبو العباس أحمد بن زنقلي التريكي التلمساني (كان حيًا سنة 1168هـ/1768م)، (2001)، **ديوانه**، جمع وتحقيق: زريوح عبد الحق، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان.

ـ أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد بن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/ 1768م)، (1989)، **ديوانه**، إعداد وتقديم: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

ـ أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت 1088هـ/ 1677م)، (1968)، **ديوانه**، تقديم وتحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

. أبو راس محمد بن أحمد البرجي الناصري (ت 1238هـ/ 1823م)، (د.ت)، **الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**، دراسة وتحقيق: مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر.

. أبو راس محمد بن أحمد البرجي الناصري (ت 1238هـ/ 1823م)، (1986)، **فتح الإله ومنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

ـ بن سهلة بومدين بن محمد التلمساني (القرن 11هـ/17م و12هـ/18م)، (2001)، **ديوانه**، جمع: حشلاف محمد الحبيب،

تحقيق: الزرهوني محمد بن عمر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر.

. عبد الحق حميش، (2011)، **سير أعلام تلمسان**، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الجزائر.

ـ ناصر الدين السعيدوني، (1999)، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

. مسعود بن ساري، (2008 ـ 2009)، **تلمسان في الشعر الجزائري في العهدين الزياني والعثماني**، مذكرة مقدمة لنيل شاهدة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم الأدب العربي، (غير منشورة)، تحت اشراف: الدكتور مشري بن خليفة، جامعة قاصي مرباح ورقلة.

. أرزقي شويتايم، (2009)، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 هـ ـ 1246 هـ /1519 م ـ 1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر.

ـ محمد الطمار، (2007)، **تلمسان عبر العصور ـ دورها في سياسة وحضارة الجزائر**.، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

. العربي دحو، (2008)، **معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16م إلى أواخر العقد الأول من القرن 21م**، (د.ط).

ـ محمد الفاسي، (1986)، **معلمة الملحون**، (جزآن)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.

ـ محمد النيفر، (1996)، **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ـ يحيى بوعزيز، (2007)، **حاضرة تلمسان**، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر.

7. 2. الأجنبية:

. **Tlemcen Cite Des Grands** (2008)Al Hassar Benali, , **Maitres De La Musique Arabo Andalouse**, Imprime Avec La Contribution Du Ministèr De La Culture, Alger,

. **Tlemcen Ancienne Capitale Du** (1859),)Barges(Labbe , **Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage**, Challamel Aine Libaire, Paris.

. **Le Dialecte Arabe Parle A** (1902),)William(Marcais , **Tlemcen Grammaire Textes Et Glossaire,** Editeur: Ernest Leroux, Paris.

. **Les Monuments Arabes De** (1903)Marcais (William), , **Tlemcen**, Albert Fontemoing Editeur.

8. الهوامش:

(1) محمد سعيدي، **الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية (آداب)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص: 9.

(2) محمد الفاسي، (1986)، **معلمة الملحون**، (ج2)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ص ص: 252 . 256.

(3) نفسه، ص: 266.

(4) مسعود بن ساري، (2008 ـ 2009)، **تلمسان في الشعر الجزائري في العهدين الزياني والعثماني**، مذكرة مقدمة لنيل شاهدة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم الأدب العربي، (غير منشورة)، تحت اشراف: الدكتور مشري بن خليفة، جامعة قاصي مرباح ورقلة، ص: 36.

(5) أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت 1088هـ/ 1677م)، (1968)، **ديوانه**، تقديم وتحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 23.

[6] مصطفى قيصر، **شعر تلمسان**، دار آسيا، بيروت، ط1، 1985، ص: 18.

[7] Marcais (W) , **Le Dialecte Arabe Parle A Tlemcen Grammaire Textes Et Glossaire**, Editeur: Ernest Leroux, Paris, 1902, P. 52.

[8] Ibid, P. 56.

[9] أرزقي شويتايم، (2009)، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926 هـ ـ 1246 هـ /1519 م ـ 1830م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص: 444.

[10] ينظر: أبو راس محمد بن أحمد البرجي الناصري (ت 1238هـ/ 1823م)، (د.ت)، **الدرة الأنيقة في شرح العقيدة**، دراسة وتحقيق: مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر.

[11] محمد الفاسي، **مرجع سابق**، ص: 286.

[12] أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت 1088هـ/ 1677م)، (1968)، **ديوانه**، تقديم وتحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 54.

[13] يحيى بوعزيز، (2007)، **حاضرة تلمسان**، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، ص: 56.

[14] **أبو العبّاس مصطفى أحمد برّناز التونسي (ت1084هـ/ 1676م):** قال فيه "**حسين خوجة**" في "**ذيل بشائر أهل الإيمان**"، بقوله: "**صاحب النّقل الصّحيح، (...)، الشّيخ المولى سيدي أحمد برّناز**"، **وفي موضع آخر بـ:** "**قرأ على الشّيخ الصّوفي مفتي الحنفيّة المتوفي سنة 1143هـ/1735م، (...)**". ينظر: محمد النيفر، (1996)، **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 507 ـ 508.

[15] **أبو العباس أحمد بن زاغو (القرن 11هـ/17م):** كان مفتيًا بمدينة تلمسان خلال القرن **11هـ/17م**، وهو الّذي عرض به الشّاعر سعيد المنداسي، وتحدث عما عانته تلمسان منه ومن أمثاله الّذين انقادوا للأتراك. ينظر: سعد الله أبو القاسم، (1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500 ـ 1930**، (ج2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 265.

[16] فوزية لزغم، (2013 ـ 2014)، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925هـ ـ 1246هـ/ 1520م ـ 1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، غير منشورة، قسم التاريخ، تحت اشراف: بن معمر محمد، جامعة وهران، ص: 147.

[17] أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (ت 1088هـ/ 1677م)، **مصدر سابق**، ص: 189.

[18] نفسه، ص: 189.

[19] **باب الجيّاد:** أحد أبواب السّور الّذي يحيط بتلمسان في جهة الشّرق الجنوبي منها نحو حوز العُباد والوُريط. ينظر: محمد الطمار، (2007)، **تلمسان عبر العصور ـ دورها في سياسة وحضارة الجزائر**ـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 248 249.

[20] أبو العباس أحمد بن زنقلي التريكي التلمساني (كان حيًا سنة 1168هـ/1768م)، (2001)، **ديوانه**، جمع وتحقيق: زريوح عبد الحق، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، ص: 22 ـ 23.

[21] نفسه، ص: 22 ـ 23.

[22] نفسه، ص: 122.

[23] نفسه، ص: 22 ـ 23.

[24] نفسه، ص: 22 ـ 23.

[25] العربي دحو، (2008)، **معجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر من القرن 16م إلى أواخر العقد الأول من القرن 21م**، (د.ط)، ص: 253.

[26] عبد الحق حميش، (2011)، **سير أعلام تلمسان**، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 96.

[27] نفسه، ص: 102.

[28] أبو العباس أحمد بن زنقلي التلمساني (كان حيًا سنة 1168هـ/1768م)، **المصدر السابق**، ص: 22 ـ 23.

[29] نفسه، ص: 24.

[30] نفسه، ص: 39.

[31] نفسه، ص: 39.

[32] عبد الحق حميش، **المرجع السابق**، ص: 40.

[33] Marcais (W), (1903), **Les Monuments Arabes De Tlemcen**, Albert Fontemoing Editeur, P. 55.

[34] محمد الفاسي، **مرجع سابق**، (ج2)، ص: 17.

[35] نفسه، ص: 26.

[36] نفسه، ص: 26.

[37] ابن عيسى التيجيني، (2011)، **معجم أعلام تلمسان**، كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 211.

[38] **باب زير:** هو أحد أبواب سور مدينة تلمسان الّذي يحيط بها في الجهة الشّرقية الشّمالية من وسط المدينة.

[39] ناصر الدين السعيدوني، (1999)، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص: 405 ـ 411.

[40] أبو عبد الله الحاج محمد ابن أحمد ابن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/ 1768م)، (1989)، **ديوانه**، إعداد وتقديم: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 118.

[41] Barges (L), (1859), **Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage**, Challamel Aine Libaire, Paris, P.296.

[42] Ibid, P. 299.

[43] أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد ابن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/ 1768م)، **المصدر السابق**، ص: 19.

[44] نفسه، ص: 41.

[45] نفسه، ص: 41.

[46] نفسه، ص: 20.

[47] **بيت اليَبدري:** يرجع نسبهم إلى مدشر بني وَرنِيد، أحد أرياف تلمسان، ومن بين علمائهم نذكر: أبو العباس أحمد بن الحاج اليبدري **(ت 930هـ/1523م)**، وأبو عبد الله محمد الحاج المنّاوي **(ت 955هـ/1548م)**، والشّيخ حدادة بن محمد بن الحاج اليبدري **(ت 1008هـ/1599م)**، وأبو عبد الله محمد بن الحاج بن سعيد المنّاوي **(ت 1009هـ/1600م)**. لتفاصيل أكثر حول هذه العِترَة العلميّة، ينظر: أبو راس محمد بن أحمد الناصري (ت 1238هـ/ 1823م)، (1986)، **فتح الإله وَمنته في التحدثِ بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: الجزائري محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص: 49 . 56.

[48] أبو عبد الله الحاج محمد ابن أحمد بن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/ 1768م)، **مصدر سابق**، ص: 94.

[49] بومدين بن محمد بن سهلة التلمساني (القرن 11هـ/17م و12هـ/18م)، (2001)، **ديوانه**، جمع: حشلاف محمد الحبيب، تحقيق: الزرهوني محمد بن عمر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ص: 20.

[50] نفسه، ص: 21.

[51] نفسه، ص: 21.

[52] نفسه، ص: 21.

[53] نفسه، ص: 21.

[54] نفسه، ص: 21.